تطوير كليات التربية :
نظرة إلي المستقبل في تفاؤل (*)

أ. د. فـــؤاد أبو حطـب
أستاذ علم النفس التربوى
كلية التربية جامعة عين شمس

لعل عنوان رواية جون أوزبورن الشهيرة (أنظر إلى الماضى فى غضب) أصبح كلاسيكياً فى ثقافة الغرب ، على عكس الحال لدينا الذى تلخصه عبارة مضادة هى (أنظر إلى الماضى فى حنين) . فمنظورنا إلى الماضى دائماً فيه شوق ورغبة فى إستعادته فهو دائما أفضل من الحاضر . وعلى هذا القياس يكون النظر إلى المستقبل فيه تشاؤم يعنى بالضرورة أن هذا المنظور أن الحاضر سيصبح ماضياً وبالتالى سيكون أفضل من المستقبل حين يتحقق . وهذا كله عكس سنة الحياة التى تعنى أن صيرورة المستقبل وسيرورته لابد أن تحمل جديداً للإنسان يضاف إلى رصيده ويطوره كيفاً من حال إلى حال أفضل وأرقى منها . ومن هنا كانت دعوتى الدائمة إلى النظر إلى المستقبل فى تفاؤل يصدق هذا على كليات التربية وإعداد المعلم صدقة على أشياء أخرى كثيرة .

وإذا كان عن المنظور المستقبلى لكليات التربية فلابد من أن نحدد أولاً مجموعة المبادئ والثوابت التى استقرت فى الضمير الاجتماعى والوجدان الثقافى والتربوى بل والسياسى فى مصر والعالم العربى بالنسبة لهذا الموضوع ، وهى :

١- لا رجعة فى المبدأ الذى لايمكن أن يمارس وهو أن إعداد المعلم بجميع مستويات مراحل التعليم الذى يعد للتدريس فيها تحت مظلة الجامعة ، وقد شهد العقد الأخير من القرن العشرين تطورين هامين فى منظومة إعداد المعلم فى مصر . أولهما إلغاء دور المعلمين والمعلمات وإحلال شعبة التعليم الابتدائى محلها داخل كليات التربية ، وثانيهما ضم كليات التربية النوعية إلى الجامعات ، ولم يبق

(*) ألقيت هذه الورقة يوم الثلاثاء ٢٥ ابريل ٢٠٠٠ فى المؤتمر الدولى الأول : دور كليات التربية فى التنمية البشرية في الألفية الثالثة الذى أقامته كلية التربية جامعة الزقازيق فى الفترة من ٢٥ - ٢٦ ابريل ٢٠٠٠ .

خارج منظومة الجامعة حتى الآن إلا بعض كليات التعليم الصناعى (فبعضها تحت مظلة الجامعة مثل كلية التعليم الصناعى بالسويس - جامعة قناة السويس) .

٢ - أن يكون إعداد المعلم تحت المظلة الجامعية من خلال المؤسسة الجامعية المؤهلة للقيام بهذا الدور وهى كليات التربية . فإذا كانت كلية الطب تعد الأطباء ، وكلية الهندسة تعد المهندسين (وقس على ذلك جميع الكليات المهنية الأخرى) فلا يجوز أن تحال مهنة إعداد المعلم إلى غير كليات التربية ، وإلا اختلطت الأوراق ويصبح بنفس الدرجة أنه يمكن أن يحال إعداد الأطباء والمهندسين وغيرهم من المهنيين إلى غير كلياتهم .

٣ - أن منظومة إعداد المعلم ليست بسيطة أو متجانسة التكوين ، وإنما فيها من التنوع والتعقد ما يستوعب منظومة التربية كلها ، إبتداءً من معلم رياض الأطفال (أو معلم الطفولة) فمعلم التعليم الأساسى ، فمعلم التعليم الثانوى العام ، ومعلم التعليم الثانوى الفنى ، ومقام التعليم النوعى ، ومعلم الجامعة ، ولكل منها نموذجه الذى يخصه ابتداءً من شعبة التعليم الابتدائى بكلية التربية وحتى دورة إعداد المعلم الجامعى تربوياً .

٤- إن دعاة العودة إلى النظام التتابعى بإعتباره النموذج الوحيد لإعداد المعلم ومنهم بعض التربويين ويعتبرون ذلك عودة إلى « الماضى الجميل » من منظور « أنظر إلى الماضى فى شوق وحنين » - يغفلون أن هذا النظام كان يتآنى مع منظومتين أخرتين هما دور المعلمين والمعلمات (لإعداد معلم الابتدائي)وكلية المعلمين (لإعداد معلم الإعدادى والثانوى) وقد أفرز هذا العصر سلبيات عديدة، وكادت تتخذ قرارات حاسمة من خلال تقارير مصيرية ، ولعل أشهرها تقرير اللجنة الوزارية للقوى العاملة التى صاحب تنفيذ الخطة فى منتصف الستينات فى عهد وزارة على صبرى .

كيف نجيب علي سؤال المستقبل ؟

إنى أدعو إلى تغيير نظرتنا إلى كل من الماضى والمستقبل . فلابد أن ننظر لكل منهما فى توازن دقيق ،فتكون نظرتنا إلى الماضى فى تطلع إلى إستثمار الخبرة وتعلم الدروس ، وتقويم الآثار دون أن يكون تفكيرنا فيه هروبا إليه ، وتكون نظرتنا إلى المستقبل من خلال منظار تفاؤلى يستند إلى مسلمة أن الحياة فى تغير مستمر ، وأنك لا تنزل إلى بحر الحياة مرتين ، ومرة أخرى دون أن يكون تفكيرنا فيه قفزاً

إليه وقد وصفت ذات مرة الإنكفاء على الماضى وحده بأنه سلوك إنسحابى ، والقفز إلى المستقبل دون إعتبار لدروس الماضى وظروف الحاضر بأنه سلوك إنتحارى أما العيش بفلسفة (واغتنم من الحاضر لذاته إن وجدت) فإنه سلوك إنتهازى . هى معادلة صعبة إذن لتحقيق التوازن الذهبى بين عبرة الماضى وظروف الحاضر وإستشرافات المستقبل .

فى ضوء هذه الاعتبارات يمكن أن نجيب على سؤال المستقبل بالنسبة لكليات التربية كما يلى :-

١ - تناول مسألة النظامين الأساسين فى منظومة إعداد المعلم وهما النظام التكاملى والنظام التتابعى لا يكون من خلال منطق (إما ... أو ...) فقد تعايش النظامان ولا يزالان يتعايشان . وإذا كانت توصية المؤتمر الأخير لتطوير التعليم العالى دعت إلى التوسع فى قبول خريجى الجامعات بكليات التربية ، فإنها توصية تتفق مع واقع فعلى فكليات التربية لم تغلق أبوابها أبداً فى وجه هؤلاء الخريجين، فهى تقبلهم بإعداد متزايد حتى وصلت أعداد هؤلاء الطلاب فى بعض الأحيان ما يساوى أعداد طلاب النظام التكاملى .

٢ - أن يرتبط قبول الطلاب بكلية التربية (سواء فى النظام التكاملى أو التتابعى) بالاحتياجات الفعلية من المعلمين فى تخصصات حقيقية بالضرورة فى منظومة التعليم قبل الجامعى ، ولذلك لا أجد معنى فى قبول أعداد كبيرة فى النظام التتابعى من خريجى كليات الحقوق أو خريجى أقسام اللغات القديمة (اللاتينية أو اليونانية) أواللغات الشرقية بكليات التربية .

٣ - أن يعتبر الدبلوم العامة فى منظومة إعداد المعلم وهى الدرجة التى تمنح للطلاب الذين يقبلون حسب النظام التتابعى درجة مهنية تحويلية وليست درجة من درجات الدراسات العليا بكليات التربية ، فسنة الدبلوم العامة (فى وضعها الراهن) أو سنتاها (كما هو مقترح) . ويعد الحصول عليها مكافئاً لدرجة البكالوريوس أو الليسانس فى التربية . حسب النظام التكاملى . وعلى الجميع : خريجى النظام التكاملى والنظام التتابعى عند القبول بالدراسات العليا فى التربية أن تكون بدايتهم من نقطة واحدة . فالمسألة ليست سنوات دراسة ومحك الزمن ليس محكا أجوف ، وإنما ما يحدد القرار دائما هو محتوى الزمن .

٤- أن يعاد النظر فى شعب كليات التربية بحيث تستوعب منظومة إعداد المعلم كاملة، مع تحقيق شرط التمايز الواجب فى عملية الإعداد لكل شعبة من حيث وزن المكونات الأساسية لكل من الإعداد التخصصى والإعداد التربوى والمهنى

فى كل منها . وهذه الشعب هى :

أ – شعبة معلم الطفولة (للتدريس فى رياض الأطفال وفى الصفوف الأولى من التعليم الابتدائى الذى يعمل بنظام معلم الفصل) ٧٥٪ إعداد تربوى مهنى، ٢٥٪ إعداد تخصصى .

ب – شعبة التعليم الأساسى للتدريس فى الصفوف المتأخرة من التعليم الابتدائي وصفوف المرحلة الإعدادية . ٣٥٪ إعداد تربوى مهنى ، ٦٥٪ إعداد تخصصى .

جـ – شعبة التعليم الثانوى العام للتدريس فى المرحلة الثانوية العامة . ٢٠٪ إعداد تربوى مهنى ، ٨٠٪ إعداد تخصصى . وتنطبق النسبة السابقة على إعداد معلم التعليم الفنى ومعلم التعليم النوعى (التربية الموسيقية ، التربية الرياضية ، التربية الفنية ...إلخ) .

د – دبلوم التعليم الجامعى والعالى ويلتحق به المعيدون فور تخرجهم للتفرغ للإعداد التربوى والمهنى حيث يخصص البرنامج كله (١٠٠٪) لهذا الإعداد .

٥ – وجود قدر مشترك من الثقافة العامة ومهارات الحياة (اللغة العربية – اللغة الأجنبية – الحاسب الآلى) والأنشطة للطلاب فى جميع الشعب .

٦ – الحملة على مستوى المعلم يجب أن تكون فى إطار أكثر شمولاً وإتساعاً فهبوط المستوى يكاد يكون عاماً ، وعزو المسئولية إلى مصدر خارجى قد لا يكون مفيداً، فتدنى مستوى الأطباء والمهندسين والزراعيين والحقوقيين لا يجب نسبته إلى كليات التربية ، فكل مسئول عنه ، والعزو الداخلى فيه الشجاعة الأدبية والاعتراف بالواقع مما يؤدى إلى المواجهة الصحيحة لمعركة المستقبل .

٧ – تغير فلسفة الدبلومات المهنية لتصبح مشروعا للتعليم مدى الحياة .

٨ – نموذج المدرسة والجامعة الجديدة
- نموذج المصنع
- نموذج الإنترنت

٩ – أهمية إعادة ترتيب البيت التربوى .